MEHMET AKİF'İN İSLAM TASAVVURU
الفكر الديني لمحمد عاكف[1]

Ramazan YILDIRIM*

Mehmet Akif'in İslam Tasavvuru

Özet: *Mehmet Akif, Osmanlı devletinin son dönemlerini yaşamış ve bu devletin yıkılışına doğru giden sancılı dönemde bir fikir ve eylem adamı olarak birçok faaliyette bulunmuştur. Türkiye Cumhuriyetinin kuruşuyla neticelenen Milli Mücadelede aktif olarak rol alan ve kurulan yeni devletin İstiklal Marşını kaleme alan Mehmet Akif Ersoy aynı zamanda fikir dünyamızın da önemli bir şahsiyetidir. Bu makalemizde Akif'in şiir ve makalelerinden hareketle onun dini düşüncesini, Kur'an, vahdet, tefrika, kader ve tevekkül hakkındaki görüşlerini kısaca onun İslam tasavvurunu ele alacağız.*

Anahtar Kavramlar: *Kur'an, kader, tefrika, vahdet, mehmet akif, dini düşünce*

Mehmet Akif's Religious Thought

Abstract: *Mehmet Akif had lived at the late Ottoman period and performed many activities as an intellectual and man of action through the painful era which resulted in the collapse of the Empire. Mehmet Akif had actively involved in the process of the Turkish National Struggle which had resulted in the establishment of Republic of Turkey and had written the Turkish National Anthem. He is also a prominent figure of our intellectual life. In this article, based on Akif's poems and articles, his religious thoughts, Kur'an, unity (vahdet), dissension (tefrika), fatality (kader), and reliance (tevekkül), in short his islamic edifice will be evaluated.*

Keywords: *Kur'an, fatality, dissension, unity, mehmet akif, and religious thought.*

[1] الصيغة الجديدة لورقة البحث المقدمة في الندوة الدولية لمحمد عاكف أرصوي والتي تم عقدها في القاهرة بتاريخ 01-06 ديسمبر 2010

* Yrd. Doç. Dr., İstanbul Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Kelam Bölümü. (fikriyat@hotmail.com)
الاستاذ المساعد في قسم علم الكلام كلية الإلهيات- جامعة اسطنبول

الموجز:

لقد عاش محمد عاكف وشهد الفترة الأخيرة للدولة العثمانية، وقام بنشاطات وأعمال كثيرة كرجل من رجال الفكر والعمل في مرحلة حرجة من مراحل سقوط هذه الدولة، ولعب دورًا فعالا في الكفاح الوطني الذي تمخض عنه قيام الجمهورية التركية، وكتب النشيد الوطني للدولة الوليدة، إضافة إلى كل هذا فقد كان من الشخصيات المهمة في عالمنا الفكري، ونحن في هذا المقال سنتناول باختصار تصوره الإسلامي، حيث سندرس الفكر الديني لديه، ورأيه عن القرآن، والوحدة، والفُرقة، والقدر، والتوكل، والرزق، وأساس الكسب، منطلقين في ذلك كله من آثاره وأعماله نثرًا أو نظمًا.

الوضع العام للعالم الإسلامي آنذاك

كان في مرحلة ضعف الدولة العثمانية خطط سياسية مختلفة لإنقاذها سياسيًّا، أو لإدامة كيانها دون أن تتمزق أكثر على الأقل، فقد قدم "يوسف آقجورة" ثلاث وصفات للإنقاذ، وفتح المجال للنقاش حولها، وكانت إحدى وصفات هذا الإنقاذ هي التمسك بالإسلام، وكان الذين تبنوا سياسة التمسك بالإسلام من العلماء والمثقفين قد اجتمعوا في مجلة "الصراط المستقيم" ينشرون أفكارهم ويعبرون عنها، وكان محمد عاكف رئيس تحريرها، وهذه المجلة كانت تصل إلى المناطق ذات الأغلبية المسلمة كمصر، والبلقان، وقازان (تتارستان)، والهند، وشبه الجزيرة العربية، وشمال إفريقيا، وكان أعضاء المجلة في الوقت الذي يسعون فيه إلى تقوية جميع المسلمين في العالم الإسلامي وعيًا وإدراكًا، كانوا يكثفون جهودهم كذلك حول بعض الأفكار الأساسية فيما يخص كيفية فهم الدين، وبعض المشاكل التي أدى إليها فهم الدين في ذلك الوقت، وكانوا يحاولون أن يصلوا بروابط معنوية روحية إلى العلماء المفكرين الذين يسعون جاهدين من أجل وحدة المسلمين الذين يعيشون في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، واتفاقهم وتقدمهم، ونجاتهم مما هم فيه من الأوضاع الصعبة السيئة، وكانوا يحاولون أن يؤثروا فيهم، وأن يقدموا لهم المجال لتقديم أفكارهم لهم، وكان ضمن عالم الفكر في هذه المجلة شخصيات بارزة أولاها محمد عاكف اهتمامًا كبيرًا؛ كعبد الرشيد إبراهيم، وعطاء الله بهاء الدين، وفاتح كريمي، وموسى جار الله، وجمال الدين الأفغاني، محمد عبده، وعبد العزيز جاويش.

وقد تضمن كتاب محمد عاكف الشعري المسمى بـ "على منبر السليمانية" الذي نشره في مجلة "الصراط المستقيم" بين شهر يناير وأغسطس عام 1912، كثيرًا من النقاط حول فهم محمد عاكف للدين، فهو في شعره هذا ركز على المسجد الذي هو من أهم الأماكن التي يتجلى فيه وعي الأمة، وأجلس على كرسي الوعظ في هذا المسجد عبد الرشيد إبراهيم وهو من مسلمي سيبريا، الذي طاف العالم الإسلامي

شرقًا وغربًا، وحصلت لديه انطباعات وأفكار مهمة، وعبر على لسانه للأمة الإسلامية عن أفكار مهمة، وبعدما تحدث عن كيفية فهم المجتمع للدين الإسلامي في القرن العشرين، بيّن أن فهم الدين في ذلك الوقت غير كافٍ لحل المشاكل والتحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية، وهو في كل ذلك كان يدرك أن الإسلام الذي هو آخر الأديان السماوية يختلف عن الأفكار والآراء التي تكونت حوله خلال التاريخ.

وعبر محمد عاكف في شعره عن انطباعات عبد الرشيد عن البلاد الإسلامية التي طافها، وصور لنا الطبيعة الثقافية والاجتماعية للأمة وفهمها للدين آنذاك، وقد كانت الأمة في حال يرثى لها، لا معسكرات، ولا مدارس، ولا مؤسسات، لا سيوف ولا أقلام، وكانت المؤسسات الحكومية قد سقطت وماتت.

يمضي عمر أحدهم في أداء وظيفة الملازم، والآخر
فريق مازال يقطع المراتب في المدرسة
أهناك وظيفة والله ولي التوفيق
المدارس العلمية أدنى من المنحطّ
والمؤسسة التي تسمى بباب الفتوى مهجع الأميين
يحمل الإجازة وهو في بطن أمه، يشبه أجداده
سِر، وليأخذ لك القائد عمامة[2]

والرحالة الذي يُنطقه محمد عاكف يتعجب مما يرى في رحلاته في منطقة آسيا الوسطى التي كانت موطن العلم والمعرفة، حيث اقتصرت عبادة الصلاة على الفقراء، ونفض الأغنياء أيديهم من كل شيء، لا يقتربون من أية عبادة وخاصة الزكاة، والحالة الدينية في تركستان، وبخارى، وسمرقند، وطشقند يرثى لها، فقد ابتعدت هذه البلاد التي أخرجت أمثال ابن سينا، وأجدبت، ودخلت الأهالي في سمرقند التي احتضنت أفخم المراصد آنذاك في خرافات وأباطيل، حيث نسبوا خسوف القمر إلى الشيطان، وكانوا يضربون على الطبل لطرده، ولم يكن بوسع العلماء والشيوخ أن ينوروا وينبهوا الناس بما عندهم من فهم للعلم، ولا أن يرشدوهم أويقودوهم؛ لأن:

كل ما تفكر فيه لخير الأمة بدعة
ولكن إهانة الشرع بتغييره حاشا سُنة
لا يستحيون من الله ولا من النبي
فهؤلاء العلماء الأغبياء الحمقى
كيف تكون حال هذه البلاد، فتأملوا.[3]

2 Mehmet Akif, Safahat, Süleymaniye Kürsüsünde.

ويعبر محمد عاكف في أشعاره عن أحوال العلماء الذين يتحملون مسئولية بيان الإسلام للناس على أكمل وجه، ويبين بشدة في إحدى مقالاته أن بعض السلوكيات التي يقومون بها باسم الدين إنما هي جريمة بحق الدين، حيث يقول: "المسلمون الآن يرتكبون جرائم بحق دينهم، عليهم أن ينظروا بالعقل والفكر إلى دينهم حتى يدركوا أن الكثيرين يلهثون وراء أهوائهم ويتبعون أفكارهم الضالة الباطلة مع أنهم يظنون أنهم يتحركون وفق مقتضيات دينهم".[4]

ومع وجود عدد كبير من المدارس إلا أن المواد التي تدرس لم تكن تنفع في الدنيا ولا في الآخرة، وكان تيار لا يتفق مع الهوية الإسلامية النقية الخالصة يسمى التصوف هو السائد آنذاك، وكان الناس يقرءون ديوان حافظ كما يقرءون كتب الفتوى، وكان مفهوم " افعل ما شئت ولكن لا تجرح قلب أحد" سائدًا ومنتشرًا، وما كان الدين يعني أكثر من أنه تقليد من التقاليد وعادة من العادات، فالملايين من المسلمين يقولون "إنا وجدنا آباءنا على هذا، وكأنهم بذلك يجعلون تصرفاتهم مشروعة، ولكن مفهوم "إنا وجدنا آباءنا على ذلك" مردود في الدين، وما كان للمسلمين أن يقعوا في هذا الضعف والتخلف لو أنهم قرءوا القرآن وفهموه كما يجب.

أليس من الواجب البحث عن هدف في هذه الآيات
هذا القرآن المحكم الواضح المبين
لأنه لا أحد منا يبالي بمعانيه
فإما أن نفتح صفحات النظم الجليل فننظر إليها
أو نقرأها على تراب ميت ونحن نمر به
اعلموا حق اليقين أن القرآن لم ينزل
لا ليقرأ في المقابر ولا لقراءة الطوالع[5]

بيان الإسلام لعقل العصر

إن شعر محمد عاكف ليس شعرًا عاديًّا؛ إذ يتضمن شعره أحاديث عن الفلسفة والدين وعلم الكلام، فمحمد عاكف كما يقول سزائي قراكوج بعبارات وجيزة: "مزج الشعر بالحياة ومزج الحياة بالشعر"[6]، فقد تناول في أشعاره واقع الحياة التي عاشها، ومرارتها والمشاكل التي عاشها المجتمع، والمفاهيم الخاطئة السائدة عن الدين في العالم الإسلامي، فجعل من شعره ترجمانًا عن الحياة، فهو

3 Safahat, Süleymaniye Kürsüsünde.
4 Mehmet Akif, Düzyazılar (Makaleler-Tefsirler-Vaazlar), s. 68.
5 Safahat, Süleymaniye Kürsüsünde.
6 Sezai Karakoç, Mehmet Akif, s. 39. Yağmur yayınevi, İstanbul–1968.

كرجل فكر ومثقف يعرض انهيار المجتمع الإسلامي أخلاقيًا واجتماعيًا واقتصاديًا بشكل واضح، ويسعى لحل هذه المشاكل، والحل الجذري الذي يقدمه محمد عاكف لهذه الأمراض والعلل ليس إلا الرجوع إلى عصر السعادة وخير القرون، كما كان يقول العلماء والمثقفون الإسلاميون آنذاك: حيث يقول: التمسك بالمبادئ التي هي أسس المجتمع تمسكًا قويًا وإحياء الإسلام في الظاهر والباطن، في أنفسنا وفي غيرنا بروح جديدة نشطة، بعدما نتسلح بالأسلحة المادية الحديثة للعصر الحديث"، وهو يوصينا أن نفهم الواقع الذي نعيشه، وأن نتخذ القرآن الكريم وحده أساسًا ودستورًا لنا، ونستخرج منه معاني جديدة كي نستوعب متطلبات عصرنا ونجد الحلول، فيقول:

علينا أن نستلهم القرآن وحده
ونبين الإسلام لفهم العصر

والطريق الذي يمكن من خلاله أن يحدث الإسلام صدى في العصر الذي نعيشه هو الاجتهادات الجديدة، ولكنه يرى أن المدارس في ذلك الزمان تفتقر إلى الآليات التي تتمكن من الاجتهاد، حيث إن هذه المدارس لا تخرج العلماء والمفكرين الذين يقومون بالاجتهاد؛ لأنه:

ألك مدرسة، أرى أنها راحت
فأرني الآن أحدًا مثل ابن رشد[7]
.....
لم لا يوجد ابن سينا، وأين ذهب الغزالي
قلة من العلماء كالسيد والرازي
أفضلكم هو من ينظر إلى عشرة من شروح
آثارهم ويستخرج منها المعاني الجافة[8]

وهو يرى أنه لا يمكن عيش اليوم الحاضر مع الاجتهادات الإسلامية التي تكونت خلال التاريخ، ويقول:

حاجة هذا الدين هل يمكن سدّها
بأعمال سبعمائة سنة هي عمرها.[9]

فهذه المؤلفات التي يبلغ عمرها سبعة قرون وتنتشر بين المسلمين وهي عبارة عن اجتهادات حول الدين إنما ألّفت لسد حاجة الزمان الذي كتبت فيه، ولا يحل نقلها إلى زماننا مشاكل هذا الزمان، بل لا بد من اجتهادات جديدة لتثبيت فهم صحيح عن الدين في المجتمع، فهو يرى أن باب الاجتهاد مفتوح إلى

7 Mehmet Akif, Safahat, Fatih Kürsüsünde.
8 A.g.e., Fatih Kürsüsünde.
9 A.g.e., Fatih Kürsüsünde

يوم القيامة، ولكن لا بد من توافر بعض الشروط لدى من سيقوم بها، وهو لا يقر ولا يصوب أن يقوم بالاجتهاد من ليس أهلا لذلك، فيقول:

العلماء إلى يوم قيام الساعة يجتهدون
ولكن باب الاجتهاد مقفل للعباقرة الأميين

وبهذا يصرح أن باب الاجتهاد مفتوح إلى يوم القيامة ويحدد الشروط التي لابد من توافرها لدى من سيقوم بالاجتهاد بالآتي:

لا بد أن يحيط بالكتاب والسنة والإجماع فهمًا
وأن يعرف الخلاف ويراقب الحاجة

وإذا لم يقدم المجتهدون ذوو العلم والمعرفة بالدين وبالواقع الذي يعيشون فيه حلولا للمشاكل والعقبات التي يواجهها المسلمون؛ فإن روح الإسلام الذي هو وسيلة نجاة جميع البشرية تجرح، بل لابد من أن ينور الإسلام البشرية وينشر لهم ضياءه ما دارت الأرض؛ لأن هذا الدين:

هذا الدين ليس دين الأموات أنت تعلم
أنه ولد حيًا وسيظل حيًا مادامت الأرض.[10]

الكفاح من أجل وحدة المسلمين

لقد تناول المثقفون بالبحث والنقاش التيارات الفكرية من أجل حماية أراضي الدولة العثمانية من التهديدات الخارجية ومن الثورات الداخلية التي حدثت في أواخرها، وكان فكر الاتحاد الإسلامي هو الأقوى بين هذه التيارات الفكرية، وكان مدعومًا من قبل الدولة العثمانية، فمحمد عاكف ترأس رئاسة تحرير مجلتي "الصراط المستقيم وسبيل الرشاد" اللتين كانت تصدرهما هيئة تتألف من رجال الفكر والعلم الذين كانوا يدافعون عن فكر الاتحاد الإسلامي هذا، وقد كان محمد عاكف يكتب في هاتين المجلتين مقالات تدافع فيها عن الاتحاد الإسلامي، ويترجم أيضًا المقالات التي تؤيد هذا الفكر من خارج إسطنبول ويوصلها إلى القراء، فكان يخصص مكانًا لمقالات رجال الفكر خاصة من أمثال جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعزم زادة رفيق، وفر يد وجدي، وعبد العزيز جاويش، وسعيد حليم باشا، وكانت لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبد أهمية خاصة عند محمد عاكف؛ لأنه كان يرى أنهما قد تبنوا فكر الاتحاد الإسلامي وتعلقا به، فقد أثنى على جمال الدين الأفغاني في مقال كتبه عنه في مجلة الصراط المستقيم قائلا[11]: إنه وإن لم يكن أعظم الشخصيات التي خرجت من الشرق فإنه إحداها بلا شك، ويذكر أنه كما

10 Mehmet Akif, Safahat, Asım.
11 Sırat-ı Müstakim, 13 Mayıs 1326, cilt: 4, aded: 90.

أن الأديب شناسي ربى نامق كمال، فإن جمال الدين الأفغاني قد ربى أيضا محمد عبده، حيث يقول: "أجل؛ إن شناسي ربى نامق كمال وأدى بذلك أعظم خدمة لهذا الشعب، كما أن جمال الدين الأفغاني خلف للعالم الإسلامي من بعده أعظم تذكار له المفتي المرحوم محمد عبده، فمن أين كان ينهل سحر بيان محمد عبد الذي كان ينفخ في الأرواح الميتة روح الشجاعة تلك المعرفة وذلك العلم الزاخر المتدفق؟ بالطبع كان ينهل من أفكار شيخه الكبير جمال الدين الأفغاني"[12]، وهذه المقالة التي كتبها محمد عاكف قد أحدثت ضجة كبيرة، وجرّت معها بعض النقاشات حولها، ولكنه لم يتراجع أمام هذه الانتقادات، بل أعاد الأفكار ذاتها في مقالة أخرى حملت اسم "بث الشكوى"[13]، وركز على أن تكفير أحد من أجل أفكاره وآرائه وإعلان أنه ملحد ومرتد خطأ، وهو بهذا يذكر بدستور أساسي يتعلق بهذا الموضوع؛ إذ يقول: عد الشيء كفرًا شيء، وما يوجب الكفر شيء آخر، ومع أن من يعدّ كافرًا باحتمال تسعة وتسعين بالمائة يجب علينا أن ننقذه باحتمال واحد، إلا أننا عكسنا ذلك إذ نكفر رجلا باحتمال واحد بالألف، ولا نضع نصب أعيننا إيمانه باحتمال تسعمائة وتسعة وتسعين بالألف"، وهو بهذا يبين موقفه بصراحة من قضية التكفير، ويأسف على أن أكثر الذين يُكَّرون في العالم الإسلامي ويُزعم أنهم ملحدون مرتدون إنما هم عظماء هذه الأمة وأبطالها الذين يدافعون عن الإسلام والمسلمين، فيقول:

هذا الزمان لا يوجد فيه جمال الدين الأفغاني ولا محمد عبده، العالم الإسلامي غريب وحيد لا يحميه ولا يدافع عنه أحد، يجب علينا أن نذكر عظماءنا بخير ورحمة من أمثال هؤلاء حتى لا يتراجع الذين يأتون من بعدهم عن الجهاد والكفاح والنضال".[14]

ويتحدث محمد عاكف في تلك المقالة عن محمد عبده أيضًا، ويرد على انتقادات بعض الناس بأن زهده لم يكن كعلمه قائلا: "يمكن ذلك، ولكن يا ترى لو قضى الشيخ حياته كلها في النوافل والاعتكاف أكان خيرًا وأنفع للعالم الإسلامي"؟ وإني أعتقد أن الوقوف في وجه الموسيو هانوتوف والدفاع عن حقوق ملايين المسلمين في المغرب أكثر ثوابًا وأجرًا من القيام بالنوافل طوال القرون"[15].

وهو في الوقت الذي يناضل فيه من أجل وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم وحيويتهم وتقدمهم بأشعاره ومقالاته ومواعظه، كان ينتقد أيضًا فتنة التفرقة والعصبية القومية التي دخلت بين المسلمين، وكان يهتف بأعلى صوته بأن الذين يعيشون في وحدة لا يمكن لأية قوة أن تهزمهم، ويقول:

لا يمكن أن يدخل العدو بين أمة ما لم تدخل الفتنة

12 Mehmet Akif, Düzyazılar (Makaleler-Tefsirler-Vaazlar), Haz. A. Vahap Akbaş, s. 37–38.
13 Sırat-ı Müstakim, 20 Mayıs 1326, c. 4, a. 91.
14 Sırat-ı Müstakim, 20 Mayıs 1326, c. 4, a. 91.
15 Sırat-ı Müstakim, 20 Mayıs 1326, c. 4, a. 91.

لو ضربت القلوب مجتمعة لا تستطيع أن تدخل بينها القذيفة[16]

وقد كانت المغرب وتونس والجزائر التي هي جزء من العالم الإسلامي محتلة في العهد الذي عاش فيه محمد عاكف، وتعرضت إيران لخطط التمزيق، فكان يرى أن هذه الأحداث من الطبيعي وقوعها؛ لأن الساحة لمن يجري فيها، والله سبحانه وتعالى وهب حق الحياة للقوي، ولذلك تبتلع أوربا المجتمعات الإسلاميةَ التي صارت زبونًا للفرقة وفقدت قوتها نتيجة الاقتتال فيما بينها، في ثلاث لقم، وهو يشهد هذه الأحداث بحزن وأسف، ولكنه لا يفتأ ينبه المسلمين بروح تتألم وتئن في ألم وحزن، فيقول:

أيتها الجماعة، كفى أفيقوا لله،
وإلا ستدوي أصوات النواقيس في آذانكم
لقد زلزلت إيران الأرض وهي تسقط
وربما لم يحرك أحد منكم ساكنًا، أي دم هذا؟
ألا تستحيون من النبي عليه الصلاة والسلام[17]

الرزق والكسب يخضعان لقوانين ثابتة

ينتقد محمد عاكف بشدة الكسل والبطالة التي في المسلمين، ويبين أن كسب الرزق إنما يكون بالسعي الذي ذكره القرآن الكريم، ومن ثم فقد تناول هذا الموضوع كثيرًا في مقالاته النثرية والنظمية، فيفسر مثلا الآية الكريمة ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاّ مَا سَعَى﴾(سورة النجم:39) قائلا: ليس للإنسان في الدنيا والآخرة إلا ما سعى واكتسب، هو يحصد ما يزرع، ولا يمكن الحصاد من غير الزرع، هذا قانون الفطرة، وسنة الله، وقانون ذكر في القرآن الكريم[18]، ثم يفسرها بالشعر كالآتي:

لا تستطيع أن تبلغ المحلّ المقصود إذا لم تستيقظ
فانظر فهل تجد للمستيقظين أثرًا في الطريق
……..
عندما يقول المولى ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاّ مَا سَعَى﴾
فماذا ترجوه حتى الآن من المسكنة[19]

16 Safahat, Süleymaniye Kürsüsünde
17 Safahat, Süleymaniye Kürsüsünde
18 Mahmet Akif, "İkinci Mev'iza", Sebilu'r-Reşad, 31 Kanun-i Sani, s.390.
19 Safahat, Birinci Kitap, "Durmayalım"

وقد تناول محمد عاكف في مقال باسم الشاعر الفارسي السعدي يحمل عنوان "السعي والعمل من وجهة نظر الإسلام"[20]، وتطرق فيه إلى بعض الموضوعات التي دار حولها النقاش في علم الكلام، وبين آراءه حولها، ويذكر في نفس المقال زعم أن الأديان تسوق الناس إلى الكسل وتهوي بهم في وديان المسكنة، فيقول بأن هذا الزعم والحكم غير صحيح على الإسلام، وهو يرى أن الإسلام يحث الناس على السعي في الدنيا بقدر ما يحثهم على العمل من أجل الحياة الخالدة.

يبين محمد عاكف أن الحياة لها ثوابت لا تتغير، وأن الذين يخالفون هذه القوانين إنما يخالفون السنن الإلهية، وأن الذين يراعونها ويتحركون وفقها يحققون أهدافهم، ويرى أن الرزق والكسب من ضمن هذه الثوابت، فمن يتخذ هذه القوانين والسنن مرشدًا له يجد الرزق ومن لا يتخذها مرشدًا له يحرم منه؛ لأن الدنيا دار نضال وجهاد، ومن يهاجم ينتصر دائمًا على مكتوف اليد، ويجعل الغالب المغلوب أسيرًا له، ويحرمه من جميع حقوقه في الحياة، ففي النهاية تهلك قوانين الطبيعة من يهمل أمور الدنيا.[21]

ويؤكد محمد عاكف بموقفه ورأيه هذا على أن هناك شروطًا لتحقيق العبد فعلا من الأفعال، منطلقًا من نظرية الكسب هذه التي صارت موضع نقاش في علم الكلام، ويذكر على رأس هذه الشروط السعي، والتصرف والتحرك وفق سنة الحياة وقانونها، ويبين ذلك في أشعاره، ويصرح بأن جعل كل أنواع الكسل والمسكنة مشروعة تحت ستار الدين أعظم افتراء على الدين وأكبر سخرية منه.

ويركز محمد عاكف على مفهوم العبادة أيضًا؛ حيث يستخدم مفهوم العبادة متساويًا مع مفهوم العمل الصالح الذي يستخدمه القرآن الكريم، ويوسع من نطاق العبادة، ويرى أنها كل سلوك يطابق سنة الحياة، ويرفع من شأن الإنسان، وينقذ النفس من الشهوات الشيطانية، ولكن لكي يكون هذا السلوك عبادة وفق مرضاة الله تعالى؛ فلابد أن يكون من أجل غاية رحمانية، وهو بهذا يرى أن الإسلام يجعل كسب الثروة والمال من أفضل العبادات، حيث يقول:

أليس كسب المال والثروة اللذين هما من أهم العناصر المؤثرة في تحقيق متطلبات الأفراد والأسر والمجتمعات بل جميع البشرية، يأتي على رأس القوى التي تبلغ بالإنسان غاية الكمال التي حددها المولى سبحانه لهذه المخلوقات؟ ولذلك وصفه الإسلام كأفضل العبادات".

ويرفض محمد عاكف الأفكار والآراء والاجتهادات الخاطئة حول الرزق الذي هو من القضايا الأساسية في علم الكلام، ويبين أن مفهوم " المولى قسم الرزق في الأزل، فلا جدوى من العمل والسعي"، هو مفهوم قد أسيء فهمه، ويوضح أنه يؤمن بهذا المبدأ؛ لأنه لا يملك الجرأة كي يبحث في ماهية العلم

20 Sırat-ı Müstakim, 23 Teşrinievvel 1324, c. 1, s. 11.

21 Sırat-ı Müstakim, 23 Teşrinievvel 1324, c. 1, s. 11.

الإلهي، وليست لديه القدرة حتى يبحث في علم الغيب، وأنه يجب الابتعاد عن بعض الأفكار التي تتكون نتيجة الفهم السقيم والآراء الخاطئة؛ حيث يقول:

"لِم أذهب وراء أفكار تمنعني من العمل والسعي نتيجة الفهم الخاطئ، وتصدني عن الصراط المستقيم؟! كلا، كلا، لو أمعن النظر في الدين الإسلامي النقي الصافي لتبين أنه كشف عن سنن الحياة الثابتة المرئية والمحسوسة، فالإسلام يقر بأن الرزق قد قسمه الله تعالى بين العباد ولكن قسمه متناسبًا مع السعي والعمل، فمن كان جهده أكثر كان نصيبه أكبر من غيره، ومن قل جهده كان نصيبه بقدر ذلك قليلا، وهذا من الثوابت في الإسلام".[22]

القرآن الكريم لم ينزل ليقرأ في المقابر ولا للنظر في الطوالع

لقد كان محمد عاكف وهو شاعر القرآن الكريم كثيرًا ما يقتبس من القرآن، ويشرح ما اقتبسه منه، ويفسر الآيات التي تعكس الضوء على قضايا زمانه تفسيرًا واضحًا، ويبتعد عن المعلومات النظرية التي ترد في كتب التفاسير التقليدية، وهو لم يختر الآيات فيما كتبه من مقالات في مجلة "سبيل الرشاد" وفي كتابه "الصفحات" بشكل عشوائي، بل إن هذه الآيات تعكس الضوء على الفترة التي عاش فيها محمد عاكف وذاق مرارتها، وضعفت فيها الدولة، وتمزقت، وتوصي بالصبر والصمود والمقاومة والنضال، وتحث على الأمل والرجاء، وتدعو إلى التعاون والوحدة، وتذمّ الفرقة والنزاع.

ويستخدم الآيات التي اختارها من القرآن كعنوان لأشعاره، ويفسرها فيها، وينقل هذه الآيات إلى الواقع بأسلوب حيوي، ويحاول أن يضفي بها معنى على الحياة، وهو يترجم الآيات ويفسرها بلغة الشعر، وقد تبنى أسلوب تفسير يسمى بـ"التفسير الاجتماعي" الذي بدأ ينتشر في العالم الإسلامي منذ نهاية من القرن العشرين؛ وقد اختار عناوين أشعاره من القرآن الكريم، وحاول أن يعالج القضايا الاجتماعية في ضوء الوحي والإلهام، مراعيًا خصائص العصر الذي عاش فيه، ويفسر الآيات بما يناسب الواقع الذي عاشه وكأن الآيات تنزل في ذلك اليوم، ويختار الآيات التي تناسب الواقع اختيارًا دقيقًا ويحاول أن يبعث في ضوئها رسالة إلى الناس، على سبيل المثال عندما يفسر الآية ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾(الأنفال:25) يربط كلمة الفتنة الواردة فيها بالأحداث التي جرت في زمانه، وبما يناسب الواقع، ويقول:

ويل لنا، حيث إن أكثرنا الذين يدعون أنهم مسلمون ملتزمون بالدين لا يتأثرون من هذا الوعيد وبهذه التنبيهات أدنى تأثر، بل هم يجهلونها، فنحن نبذل الجهد للأسف لإنماء ما نثرته الأمم بيننا والحكومات الأجنبية -التي تبحث عن حياتها في موتنا- من بذور النفاق والفساد، والعنصرية، والقومية

22 Sırat-ı Müstakim, 23 Teşrinievvel 1324, c. 1, s. 11.

ولتبلغ هذه البذور، بذور كل أنواع أسباب الضعف والهلاك التي تفتت وتفسد وحدتنا الإسلامية وتمزقها في مرحلة الإثمار والحصاد.

وفي الجواب على رسالة أحد القراء في مجلة "الصراط المستقيم" يبين أن بعض الاعتقادات التي انتشرت في بداية عام 1910 في المجتمع العثماني وخاصة في إسطنبول لا تمتّ بأدنى صلة إلى الدين، وكان القارئ يطلب استئجار بعض القراء كي يقرءوا القرآن لوقف مرض الكوليرا الذي انتشر في إسطنبول وما حولها، ورد عليه في كتاب سماه "حول الكوليرا" قال فيه: إن القيام بمعالجة هذا المرض بالنفث وقراءة القرآن ليس من الدين في شيء، ولا يسمح الإسلام بمثل هذا السلوك أبدًا؛ لأن القرآن لم ينزل ليقرأ على المرضى والموتى، وإن الشفاء الذي في القرآن ليس كما يفهمه الجاهلون، وعبر عن رأيه في هذه المسألة بالشعر:

إما أن نفتح صفحات النظم الجليل فننظر إليها
أو نقرأها على تراب ميت عندما نمر به
اعلموا حق اليقين أن القرآن لم ينزل
ليقرأ في المقابر ولا لقراءة الطوالع[23]

الإسلام الذي نعيشه، القدر والتوكل

لقد كان محمد عاكف يشكو من أن الاجتهادات والتفسيرات الدينية المنتشرة في زمانه، والمعلومات التي كان الشعب يزود بها خاطئة وغير كافية، وبخاصة أن الأقوال العربية والفارسية التي يرددها الأئمة كثيرًا في أثناء الخطب والوعظ في المساجد الكبيرة ليس لها نفع إلا أن تمل الجماعة وتنوّمهم، ويرى أن المسلمين ليسوا بحاجة إلى النصائح والمواعظ المبنية على الإسرائيليات، بل هم بحاجة إلى علم الاجتماع، فيقول:

إن الواعظ الذي لا يعلم أن كل المسلمين في الشرق والغرب والشمال والجنوب هم في ذل، وبؤس وفقر، وتحت الأسر والاحتلال، ولا يفهم أن الدين الذي تملكه أمة شقية بائسة لا يمكن تعظيمه، يجب ألاّ يقرب من كرسي الوعظ، بل على الواعظ أن يعلم بماضي الأمة، وواقعها، وأن يُعدّها للمستقبل"،

23 Safahat, Süleymaniye Kürsüsünde.

ويتحدث عن أن منابر الوعظ والإرشاد في المساجد في شهر رمضان يحتلها الشيوخ الأميون الذين لم يتلقوا تعليمًا لا في المدارس الحديثة ولا في المدارس الدينية، وأن الدين الذي يتحدث عنه هؤلاء إلى الشعب ويعلمونه لهم سيزيد من الإلحاد الذي كان منتشرًا بين الشباب في تلك الفترة، ويخاطب الشيخ خالص الذي كان من شيوخ مدرسة الفاتح ويقول له راجيًا:

"نطلب من شيخنا خالص، إما أن يصعدوا بواعظ يليق بكرسي الإرشاد والوعظ في رمضان، أو لا يرموا الجماعة بهؤلاء الجهلة"، وإني أكاد أجد عذرًا لمن يلحدون كلما استمعت إلى هؤلاء الحمقى الأغبياء، فلو كنت أتلقى الدين على يد هؤلاء وأتعلمه منهم لكنت أكبر عدو للإسلام".[24]

وهو ينتقد في شعره ومقالاته شكل التدين ومفهوم الالتزام بالدين لدى الشعب، أو صورة الإسلام الموجود في الوقت، ويقول إن الإسلام الذي يعيشه الشعب بعيد عن حقيقة الإسلام، وعن إسلام خير القرون، فالمثقفون لا يعرفون هذا الدين حقّ المعرفة، وينتقدون الإسلام الذي يعيشه الشعب ظنًّا منهم أن إسلام هؤلاء هو الإسلام الحقيقي، ويدعون أن الإسلام يقف عقبة أمام التقدم والرقي، بينما لو أراد هؤلاء أن يدرسوا الإسلام وأن يفهموه حق الفهم فلا بد أن يرجعوا إلى صدر الإسلام؛ لأن الإسلام الواقع ابتعد عن أصله ومنبعه، فيقول:

لو بحثنا عن الروح الإلهي المسمى بالإسلام
لوجدنا الآن أن من يدعون أنهم مسلمون بعيدون عنه
فهيا نرجع إلى الوراء إن أردنا أن ندرسه
ولنأخذ فترة قريبة من صدر الإسلام مثالا[25]

ويبين أنه لا بد من الرجوع إلى مراحل نشأة الإسلام لكي يفهم حقّ الفهم، ويصور لنا خير القرون، عصر السعادة، والتغيرات التي حدثت في وقت وجيز بأسلوب حيوي فيقول:

ما أعظم هذا الرقي، وما أكثر هذه السرعة
هل أظهرت البشرية شيئًا أعجب من هذا
الذين ظلوا في الفترة، بل ظلوا فيها عصورًا
الذين توغلوا في الوحشية، وتعمقوا في أعماق الغلظة
ووأدوا بناتهم في صحارى الرمال
وأحسوا بنشوة بدلا من الندامة
أتى بصخرة من الجبل أولا ثم نحتها

24 Mehmet Akif, Düzyazılar (Makaleler-Tefsirler-Vaazlar), s. 174.

25 Sahafat, Süleymaniye Kürsüsünde.

ثم كثرة من الوحشيين الذين عرفوا الخالق
كيف حدث أن صار مالكًا للدنيا
خلال ثلاثين سنة برقي يستغرق ألف سنة
كيف ظهرت الحضارة وطلع الكمال
في مثل هؤلاء القوم في سرعة الخيال[26]

ويشكل القدر والتوكل والخرافة وغيرها من المفاهيم مكانة خاصة في تصور محمد عاكف للإسلام، فالإسلام الواقع وثيق الصلة بهذه المسائل التي هي من القضايا العميقة في علم الكلام، ومن ضمن مجالات اهتمامه تصور المسلمين للإله، بل إن تصويراته وانتقاداته جريئة في هذه المسائل، وهو ينقل في شعره كثيرًا من الحقائق التي يفكر فيها الكثيرون ولكن لا يستطيعون أن يبوحوا بها، أو التي يريدون أن يبوحوا بها ولكن لا يقدرون على التعبير عنها، ينقلها بأسلوب واضح لافت للأنظار، ويرى أن تصور الناس للإله هو الذي أدى إلى أن يفهموا القدر فهمًا خاطئًا، وأن يظنوا الكسل والمسكنة والعجز توكلا، ويجعلوا من الدين لفافة من الخرافات، وهذا هو السبب الذي جعل الأمة الإسلامية في موقع المتسول مقارنة بالأمم الأخرى، ومن الخطأ أن يقال إن وقوع أمة عظيمة قوية في مثل هذه الأحوال قدرٌ من الله.

اليوم تداس تحت الأقدام
إنه قدر، أهو كذلك؟ كلا ليس هذا صحيحًا
لقد أردت المصيبة فأعطاكها الله، وهذا عين الصواب
ومن الطبيعي أن تظهر النتيجة بقدر الطلب
فهل من الممكن أن تظلمك مشيئة الله
كلما قالت لك الشريعة اعمل، لم تعمل، بل تكاسلت
وادعيت كثيرًا من الخرافات باسمها
ثم استمسكت بالتوكل
وجعلت به من الدين موضع سخرية[27]

ويعكس لنا ما يبلغه محمد عاكف من رسالة عبر شخص متوكل مستسلم للقدر يصف فهمه للدين وصفًا جريئًا في "كرسي وعظ الفاتح" ويظهر تصوره لله، وآراءه عن القدر والتوكل وغيرهما من القضايا، ويرى أن الذي يدعي أنه مستسلم للقدر الإلهي، وأنه متوكل عليه إنما يخدع نفسه، ويستر على كسله

26 Sahafat, Süleymaniye Kürsüsünde.
27 Safahat, Fatih Kürsüsünde.a

ومسكنته بهذه المفاهيم الدينية، وأن هذا الشخص ترك العمل والسعي نتيجة فهمه الخاطئ للقدر والتوكل، وبدأ يصدر الأوامر وهو جالس، ولا يريد أن يتعب، وفوّض إلى ربه جميع الأعمال التي هو مكلف بها، كأن إنجاز هذه الأوامر هو وظيفة الله، وأن خزائن الله تعالى هي الخزانة التي يلجأ إليها، وحسبه أن يبين التكاليف، وهو قد فوض إلى الله تعالى أمر استخدام السلاح، وحراسة الحدود، وإكمال الحاجات الضرورية؛ لأن جيش الملائكة التي تحت إمرته سيحارب العدو نيابة عن هذا المتوكل القدري وسيهزم الكفار، ويجيب على أن هذا الشخص الذي لا يقوم بواجباته ولا يتولى مسئولياته هو:

ومن أنت؟ متوكل، لا يُبتلَع هذا الطعم مرة أخرى
عليك الاحترام قليلا، وأية قلة الأدب هذه،
لقد جعل الإله عبدًا له، وصار إلهًا
ويسمي هذه الجرأة توكلا من دون خجل وحياء
قال اليهود عزير بن الله، وقال النصارى المسيح ابن الله
فأصبح التوحيد منهارا بهذا القول
هل يسع الإيمان شركك المركّز
هل يعني التوكل التحكم على المعبود
لا يتأمل باسم من نزل القرآن
لو سألوا لوجدوا أنه الله
هذا الشقي الذي أعلن الحرب على جميع الأوامر
يفوض التكليف إلى الله[28]

وهكذا يحذر محمد عاكف المسلم الذي يحمل هذا الفهم السقيم عن القدر والتوكل، ويبين رأيه عن القدر والتوكل بهذه العبارات: "لا يمكن تحقيق النجاح من غير التمسك بالأسباب حتى في أصغر الأمور، ولا من غير الكد والعمل، وبذل الجهد، ولذلك لا توجد مزرعة تحصد من غير أن تزرع، القدر افتراء على الشرع فيما تذهب أنت، أما توكلك فهو خسران في خسران، وهو يعرف القدر بأنه "ظهور الممكنات في الأعيان مع توافر شرائطها"، ويبين أنه ركن من أركان الإيمان يجب الإيمان به، وأنه يجب تجنب الأسئلة مثل لماذا، وكيف؟ والإنسان مسئول عما يفعله فقط، ولا يحق للإنسان أن يسأل عن سر القدر، بل واجبه أن يطيع ما يأمر به الله تعالى، وإلا فإن أركان الدين ستنهار، لذلك فقد منع النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين من الخوض في مسألة القدر، وهذا ليس عبثًا.

28 Safahat, Fatih Kürsüsünde.

النتيجة:

لقد كان محمد عاكف يدرك أن المفاهيم التي تخص مبادئ الإسلام الأساسية والتي كانت محل نقاش بين المسلمين منذ المراحل الأولى لتشكل الفكر الإسلامي؛ قد تغيرت معانيها عبر التاريخ، وأنه حاول أن يفهم الإسلام، والقرآن، والوحدة، والتفرقة، والتوكل وغيرها من المفاهيم في ضوء الوحي وأن يفسرها وفق ذلك، ولم يمنعه شيء من أن ينتقد التفسيرات الخاطئة المنتشرة بين المسلمين حول هذه المفاهيم، ولا تزال آراء محمد عاكف هذه تحافظ على حيويتها، وهو ليس شاعرًا ينطلق من عواطفه فقط، بل هو مفكر أدرك الغاية الأساسية للإسلام وعبر عنها أيضًا، والسر الذي يكمن وراء فكره العميق وتصوره الواسع للإسلام إنما هو امتزاجه بالقرآن؛ حيث إن توليه وظيفة ترجمة معاني القرآن إلى اللغة التركية، وتفرغه لهذا الأمر يدل على اهتمامه البالغ بفهم الإسلام فهمًا صحيحًا.